

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
مجلة علمية محكمة

أسرار الإظهار في مقام الإضمار دراسة تطبيقية على سورة يونس من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٥٢﴾ {يونس: ٥٢}



إعداد

الأستاذ الدكتور/ أحمد إمام عبد العزيز عبيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين بطنطا - جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث باللغة العربية:

أسرار الإظهار في مقام الإضمار

دراسة تطبيقية على سورة يونس من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٥٢﴾ (يونس: ٥٢).

أحمد إمام عبد العزيز عبيد

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: ahmedobeid.27@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تطبيق موضوع من موضوعات البلاغة وهو الإظهار في مقام الإضمار على النصف الأول من سورة يونس من أول السورة إلى قوله تعالى: **﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٥٢﴾** (يونس: ٥٢)، وقد اتبع الباحث فيه المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، وقد تناول الباحث في هذا البحث التعريف بالإظهار في مقام الإضمار وبيان أغراضه، ثم التعريف بسورة يونس، وتناول في المبحث الأول: مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول سورة يونس إلى قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾** (يونس: ٦)، وبيان السر فيها، وفي المبحث الثاني: مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧﴾** (يونس: ٧) إلى قوله تعالى: **﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾** (يونس: ١٨)، وبيان السر فيها، وفي المبحث الثالث:

مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ (يونس: ١٧) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ (يونس: ٢٥)، وبيان السر فيها، وفي المبحث الرابع: مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (يونس: ٢٦) إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (يونس: ٣٨)، وبيان السر فيها، وفي المبحث الخامس: مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (يونس: ٣٩) إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (يونس: ٥٢)، وبيان السر فيها، وأما الخاتمة فقد تناول فيها الباحث الحديث عن أهم نتائج البحث والاقتراحات، ومن أهم نتائج البحث التي توصل إليها الباحث: أن موضوع الإظهار في مقام الإضمار من الأهمية بمكان، ودراسته مما يُظهر مظهرًا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وأن أئمتنا من العلماء والمفسرين قد عنوا بهذا اللون، لكن لم يتناولوا جميع مواضعه في القرآن الكريم – على حد علم الباحث – بل في الغالب أشاروا إلى بعضها، وأن غالب أسرار الإظهار في مقام الإضمار تتعلق بسياق الآية أو الآيات موضع الإظهار، وتتعلق أيضًا بالاسم المظهر.

الكلمات المفتاحية: الإظهار، الإضمار، سورة يونس.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

Title: the Secrets of Declaration replace of Ellipsis

An Applied Study on Surat Yunus from the Beginning of the Surat to the Verse (Yunus: 52)

Ahmed Imam Abdulaziz Obeid
Department of Tafsir and Quranic Sciences, Faculty of Usul Eldin and Islamic Da'wa, Tanta Branch, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: ahmedobeid.27@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to apply a rhetorical theme, specifically " Declaration replace of ellipsis," to the first half of Surat Yunus from its beginning to the verse (Yunus: 52) . The researcher used both inductive and analytical methodologies.

The study begin with: defining the meaning of Declaration replace of ellipsis, elucidating its purposes, and an introducing of Surat Yunus,

in the first section the search studies instances of Declaration replace of ellipsis from the start of Surat Yunus to the verse (Yunus: 6), uncovering their secrets.

In the The second section the search studies instances from (Yunus: 7) to (Yunus: 18), revealing their secrets.

In The third section the search studies instances from (Yunus: 17) to (Yunus: 25), uncovering their secrets. The fourth section addresses instances from (Yunus: 26) to (Yunus: 38), revealing their secrets.

In The fifth section the search studies instances from (Yunus: 39) to the verse (Yunus: 52), uncovering their secrets.

In The conclusion the search mentions the results and recommendations, emphasizing the significance of studying

Declaration replace of ellipsis as a side of the miraculous nature of the Holy Quran. The researcher noted that our scholars and interpreters have highlighted this aspect, but not covering all its instances in the Quran, only referring to some generally. The researcher concluded that the secrets of Declaration replace of ellipsis are mostly related to the context of the verses and the declared names topic.

Keywords: Declaration, ellipsis, Surat Yunus.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد:

فإن هذا هو ثامن بحث أَشْرف بتقديمه؛ ليُنشر في حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة - جامعة الأزهر.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تبرز أهمية هذا الموضوع؛ من جهة تعلقه بأسلوب بلاغي بديع تكلم عنه علماء البلاغة، من القدماء والمحدثين وهو الإظهار في مقام الإضمار، واستعمله القرآن الكريم كثيرًا، فهو فن جميل من فنون الكلام يُكسبه رونقًا وبهاءً، ونص عليه بعض المفسرين في بعض المواضع قديما وحديثا عندما تناولوا آيات القرآن الكريم بالتفسير والبيان، فهو مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، ولذلك استخرت الله - ﷻ - ثم استعنت به - تعالى - وعزمت على الكتابة في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

١ – الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران، رسالة ماجستير للباحث/ إدريس محمد أبكر محمد بكلية العلوم الإسلامية - جامعة المدينة العالمية بماليزيا.

٢ – الإظهار في مقام الإضمار في سورة التوبة، رسالة ماجستير للباحث/ صلاح فاروق بكلية الآداب - جامعة طنطا.

٣ – وضع الظاهر موضع المضمر في القرآن الكريم، للدكتور/ كمال سيد أحمد إسماعيل العبد، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية عام ٢٠١٣م.

٤ – وضع المظهر موضع المضمر، ووضع المضمر موضع المظهر في القرآن الكريم

دراسة بلاغية تطبيقية تحليلية، للدكتور/ رمضان محمد محمود حسان كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.

٥ – الإظهار في مقام الإضمار وأسراره دراسة نظرية تطبيقية على سور من القرآن الكريم – مشروع بحثي تبنته كلية أصول الدين والدعوة بطنطا، وقد تم توزيعه على عدد من الباحثين، وهو قيد البحث حاليًا.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي؛ حيث قمت بتتبع مواضع الإظهار في مقام الإضمار في سورة يونس، ودراستها، وتحليلها، وبيان السر فيها، كما سبقت ذلك بدراسة نظرية موجزة في التمهيد بينت فيها: تعريف الإظهار في مقام الإضمار في اللغة والاصطلاح، ثم أسباب الإظهار في مقام الإضمار.

هيكل البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة: فقد تناولت الحديث فيها عن: سبب اختيار البحث، ومنهجه، وهيكله.

وأما التمهيد فقد تناولت الحديث فيه عن:

أولا: تعريف الإظهار في مقام الإضمار في اللغة والاصطلاح.

ثانيا: أسباب الإظهار في مقام الإضمار.

ثالثا: بين يدي سورة يونس.

وأما المباحث فهي كالتالي:

المبحث الأول: مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول سورة يونس إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾ (يونس: ٦)، وبيان السر فيها.

المبحث الثاني: مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ (يونس: ٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ (يونس: ١٨)، وبيان السر فيها.

المبحث الثالث: مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ (يونس: ١٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ (يونس: ٢٥)، وبيان السر فيها.

المبحث الرابع: مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (يونس: ٢٦)، إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (يونس: ٣٨)، وبيان السر فيها.

المبحث الخامس: مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (يونس: ٣٩)، إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (يونس: ٥٢)، وبيان السر فيها.

وأما الخاتمة فقد تناولت فيها الحديث عن أهم نتائج البحث، والاقتراحات.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، رتبته أبجديًا، ذاكرًا اسم الكتاب أولًا، ثم المؤلف، ثم المحقق إن وجد، ثم دار النشر، ثم رقم الطبعة وتاريخها.

ثم آخرًا فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأن يهديني لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

أولاً: تعريف الإظهار في مقام الإضمار في اللغة والاصطلاح:

تعريف الإظهار لغة: الإظهار لغة مصدر للفعل أظهر، وأصله من ظهر، يقول الإمام ابن فارس: " (ظهر) الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز، من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة، ويقال للركاب: الظهر؛ لأن الذي يحمل منها الشيء ظهورها، ويقال: رجل مظهر أي شديد الظهر، ورجل ظهر يشتكي ظهره، ومن الباب: أظهرنا إذا سرنا في وقت الظهر، ومنه ظهرت على كذا إذا اطلعت عليه، والظهير البعير القوي، والظهير المعين كأنه أسند ظهره إلى ظهرك، والظهور الغلبة، قال الله تعالى: ﴿**فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ**﴾ (الصفّ: ١٤)، والظاهرة العين الجاحظة، والظهار قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وهي كلمة كانوا يقولونها يريدون بها الفراق، وإنما اختصوا الظهر لمكان الركوب وإلا فسائر أعضائها في التحريم كالظهر، والظهار من الريش ما يظهر منه في الجناح، والظهري كل شيء تجعله بظهر أي تنساه كأنك قد جعلته خلف ظهرك إعراضًا عنه وتركًا له، قال الله سبحانه: ﴿**وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا**﴾ (هود: ٩٢)، وقد جعل فلان حاجتي بظهره إذا لم يقبل عليها بل جعلها وراءه"[١].

يتضح مما سبق: أن مادة ظهر تدل على البروز والقوة والغلبة والانكشاف، ولعل الرابط

---

(١) معجم مقاييس اللغة – مادة ظهر – ج٣ صـ٤٧١، ويُنظر مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي – مادة ظهر – ج١ صـ١٧١، ولسان العرب للإمام ابن منظور – مادة ظهر – ج٤ صـ٥٢٧، وتاج العروس للإمام الزبيدي ج١٢ صـ٤٤٢ وما بعدها.

بينها أنها كلها تؤدي إلى الانكشاف، والشيء البارز منكشف واضح وكذا القوي الغالب، ولذلك أستطيع القول: إن الإظهار هو تبيين وكشف وإيضاح لشيء ما.

تعريف الإضمار لغة: الإضمار مصدر للفعل أضمر وأصله من ضمر، يقول الإمام ابن فارس: "الضَّادُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا: يَدُلُّ عَلَى دِقَّةٍ فِي الشَّيْءِ، وَالْآخِرُ: يَدُلُّ عَلَى غَيْبَةٍ وَتَسَتُّرٍ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: ضَمَرَ الْفَرَسُ وَغَيْرُهُ ضُمُورًا، وَذَلِكَ مِنْ خِفَّةِ اللَّحْمِ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْهُزَالِ. وَيُقَالُ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي تُضَمَّرُ فِيهِ الْخَيْلُ: الْمِضْمَارُ. وَرَجُلٌ ضَمْرٌ: خَفِيفُ الْجِسْمِ. وَاللُّؤْلُؤُ الْمُضْطَمِرُ: الَّذِي فِي وَسَطِهِ بَعْضُ الِانْضِمَامِ وَالِانْضِمَارِ. وَالْآخِرُ الضِّمَارُ، وَهُوَ الْمَالُ الْغَائِبُ الَّذِي لَا يُرْجَى. وَكُلُّ شَيْءٍ غَابَ عَنْكَ فَلَا تَكُونُ مِنْهُ عَلَى ثِقَةٍ فَهُوَ ضِمَارٌ ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: أَضْمَرْتُ فِي ضَمِيرِي شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ يُغَيِّبُهُ فِي قَلْبِهِ وَصَدْرِهِ."(١) .

يتضح مما سبق: أن مادة ضمر تدل على دقة في الشيء والتستر والغيبة، ولعل الرابط بينها: أن الدقة في الشيء تؤدي إلى تستره وغيبته حتى لكأنه غير موجود، ولذلك أستطيع القول: إن الإضمار هو إخفاء شيء ما وستره وتغييبه.

تعريف الإظهار في مقام الإضمار في الاصطلاح:

الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة وكذا أصل المحدَّث عنه كذلك، والأصل أنَّه إذا ذكر ذلك المظهر ثانية أن يذكر مضمرًا؛ وذلك استغناء عنه بالظاهر، لكن قد يعدل المتكلم عن ذلك فيقوم بوضع الاسم الظاهر موضع الضمير، وهذا ما يُطلِق عليه العلماء: الإظهار في مقام الإضمار، يقول الإمام الزركشي: "وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَسْمَاءِ أَنْ تَكُونَ ظَاهِرَةً وَأَصْلُ

---

(١) معجم مقاييس اللغة – مادة ضمر – ج٣ صـ ٣٧١، ويُنظر: لسان العرب للإمام ابن منظور – مادة ضمر – ج٤ صـ ٤٩١، ٤٩٢، والقاموس المحيط للإمام الفيروز آبادي – مادة ضمر – ج١ صـ٤٢٩.

الْمُحَدَّثِ عَنْهُ كَذَلِكَ وَالْأَصْلُ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَ ثَانِيًا أَنْ يُذْكَرَ مُضْمَرًا لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِالظَّاهِرِ السَّابِقِ"[1] .

ويقول الدكتور/ عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة: "ومن الخروج عن مقتضى الظاهر: الإِظْهَارُ في مقام الإِضْمارِ، وبالعكس، فهو قسمان: القسم الأول: الإِظهارُ في مقام الإضمار. قد يكون استخدام الضمير في الكلام هو المتبادر الذي يقتضيه ظاهر الأسلوب المعتاد، لكن قد يوجد داعٍ بلاغي يستدعي استخدام الاسم الظاهر بدل استخدام الضمير"[2] .

يتضح مما سبق: أن الإظهار في مقام الإضمار هو وضع الاسم الظاهر بدل الضمير مع أن المقام يقتضي ذكر الضمير دون الاسم الظاهر وذلك لغرض بلاغي.

ثانيًا: أسباب الإظهار في مقام الإضمار:

للإظهار في مقام الإضمار أسباب متعددة وأسرار متنوعة، منها[3]:

(١) قصد التعظيم، مثل قوله تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢**﴾، (البقرة: ٢٨٢) ففيه تعظيم لله ﷻ وتعظيم لما أُضيف إليه اسم الجلالة، ومثل قوله تعالى: ﴿**هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢**﴾ (الإنسان: ١ – ٢)، فأعاد لفظ الإنسان للدلالة

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٢ صـ ٤٨٤.

(٢) البلاغة العربية ج١ صـ ٥٠٣.

(٣) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة للإمام القزويني ج٢ صـ ٨٤ وما بعدها، والبرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٢ صـ ٤٨٥ وما بعدها، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد المراغي صـ ١٤٤ وما بعدها، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥٠٤ وما بعدها، وخصائص التراكيب للدكتور/ محمد محمد أبو موسى صـ ٢٤٥ وما بعدها.

على عظم خلقه.

(٢) زِيَادَةُ التَّقْدِيرِ، مثل قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ (الإسراء: ١٠٥)، ففيه زيادة تقدير للاسم المظهر (الحق) .

(٣) الِاسْتِلْذَاذُ بِذِكْرِهِ، مثل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠)، ففيه استلذاذ بذكر الاسم المظهر (العزة) خاصة مع إضافته للفظ الجلالة (الله) .

(٤) تَرْبِيَةَ الْمَهَابَةِ وَإِدْخَالَ الرَّوْعَةِ فِي ضَمِيرِ السَّامِعِ بِذِكْرِ الِاسْمِ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ، مثل قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨)، حيث قال: (إن الله) وكان مقتضى الكلام أن يقول: (آمركم) ففيه تربية للمهابة وإدخال للروعة في نفوس السامعين خاصة مع إيثار اسم الله تعالى (الله) .

وهذا الغرض مواضعه كثيرة في القرآن الكريم فغالب المواضع منه، إضافة لما فيه من أسرار أخرى تتضح من السياق الوارد فيه.

(٥) قَصْدُ تَقْوِيَةِ دَاعِيَةِ الْمَأْمُورِ، مثل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران: ١٥٩)، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾، ولم يقل: (إنه)؛ لتقوية داعي الأمر بالتوكل قبله.

(٦) قصد الإهانة والتحقير، مثل قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ (المجادلة: ١٩)، ففيه إهانة وتحقير للشيطان؛ حيث أظهره ولم يضمره، وكان مقتضى الكلام أن يقول: (أولئك حزبه ألا إن حزبه) فأظهره في كلا الموضعين.

(٧) إِزَالَةُ اللَّبْسِ حَيْثُ يَكُونُ الضَّمِيرُ يُوهِمُ أَنَّهُ غَيْرُ الْمُرَادِ، مثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ (الإسراء: ٧٨)،

فلو قال: (إنه) لأَوْهم عود الضمير إلى الفجر.

هـذا، وللإظهـار أغـراض أخـري غيـر ذلـك حسـب اجتهـاد العلمـاء يسـتنبطونها مـن المواضع، وقد يشترك الموضع الواحد في أكثر من غرض، وقد يفتح الله تعالى على بعض بما لم يفتح به على الآخرين، وهذا فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده.

ثالثًا: بين يدي سورة يونس[(١)].

اسمها: سورة يونس، وسميت بذلك لذكر اسمه فيها وقصته. وقد جرت العـادة بتسـمية السورة ببعض أجزائها، وسميت به ﵇ مع أنه ذُكر في مواضع أخرى لتضمنها قوله: ﴿**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝٩٨**﴾ (يـونس: ٩٨)، ففيـه غايـة مـا يفيـد فيـه الإيمـان وضـرر تركـه وتأخيره، وهو المقصد الأعلى من إنزال الكتاب.

عدد آياتها وكلماتها وحروفها: عدد آياتها: تسع ومئة آية. وكلماتها: ألف وثمان مئة واثنتان

---

(١) يُنظر: تفسير ابن عطية (المحر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمـد عبـد الحق بـن غالـب بن عطية الأندلسي ج٣ صـ١٠٢، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) للإمـام جمـال الـدين القاسـمي ج٦ صـ٣، وتفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) للإمام علاء الـدين بـن عمـر الشـيحي المعـروف بالخازن ج٢ صـ٤٢٦، وتفسير الرازي (التفسير الكبيـر = مفـاتيح الغيـب) للإمـام فخـر الـدين محمـد بـن عمر الرازي ج١٧ صـ١٨٣، وتفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير) للإمـام جمـال الـدين أبـي الفرج ابن الجوزي ج٢ صـ٣١٤، وتفسـير الشـوكاني (فـتح القـدير) ج٢ صــ٤٧٩، وتفسـير حـدائق الـروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري الشافعي ج١٢ صـ١٢٥، وتفسير المراغـي للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي ج١١ صـ٥٨، والتفسير الوسيط لمجموعة مـن العلمـاء بإشـراف مجمـع البحوث الإسلامية ج٤ صـ٤١.

وثلاثون كلمة. وحروفها: سبعة آلاف وخمس مئة وسبعة وستون حرفًا.

نزولها: نزلت بعد سورة الإسراء، وقبل سورة هود، والسورة مكية على الأشهر، وقيل: مكية كلها إلا ثلاث آيات وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (يونس: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ (يونس: ٩٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (يونس: ٩٦)، وقيل: نزلت بمكة إلا ثلاث آيات وهي قوله ﷻ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (يونس: ٩٤ – ٩٦)، وقيل: هي مكية إلا آيتين وهما قوله ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (يونس: ٥٨ – ٥٩)، وقيل: نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة وباقيها بالمدينة.

موضوعها: موضوعها يدور على إثبات أصول التوحيد وهدم الشرك وإثبات الرسالة والبعث والجزاء وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين وأصوله، وهى موضوعات السور المكية.

وجه مناسبتها لما قبلها: أن السابقة ختمت بذكر رسالة النبي ﷺ واختتمت بها هذه، وأن جلّ تلك فى أحوال المنافقين وما كانوا يقولونه وما كانوا يفعلونه حين نزول القرآن، وهذه فى أحوال الكفار وما كانوا يقولونه فى القرآن.

المبحث الأول

مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول سورة يونس إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ {يونس: ٦}، وبيان السر فيها.

وفيه موضعان:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٤﴾ **{يونس: ٤}**.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (وعده حقًا) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿**وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ**﴾.

المعنى الإجمالي للآية:

يبين الحق ﷻ في هذه الآية: أن البعث بعد الموت وعد منه ﷻ لا يتخلف، فهو الذي خلقهم أولًا ثم يميتهم وسيعيدهم مرة أخرى بعد الموت، وبين ﷻ أن البعث يكون للحساب والجزاء للجميع أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيجزيهم ﷻ على إيمانهم وعملهم الصالح، ولم تنص الآية على ماهية هذا الجزاء وإنما نصت أنه بالقسط أي بالعدل، وهو يحتمل عدل الله تعالى ويحتمل عدالتهم، فيكون الجزاء بعدل الله تعالى أو بسبب عدالتهم أي إيمانهم، أما الكافرون فقد بينت الآية جزاءهم وهو أن لهم شراب قد بلغ ذروته من

الحرارة والسخونة، ولهم أيضا: عذاب شديد الإيجاع والإيلام بسبب كفرهم[١] .

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

سياق الآية يتحدث عن البعث والجزاء وقد صدرت الآية ببيان أن مرجع الجميع إلى الله تعالى فسيبعثون بعد الموت لا محاله وهذا وعد حق لا يتخلف من الله ﷻ، ولا شك أن الإظهار في هذا الموضع فيه تأكيد لهذا المعنى المراد ببيان أن الوعد بذلك من الله تعالى المتصف بصفات الألوهية دون غيره، كما أن في الإظهار وإيثار اسم (الله) تعالى في هذا الموضع أمر للكفار أن يعملوا عقولهم حتى يتوصلوا إلى الإيمان به ﷻ، فهو الإله الحق دون ما سواه، إضافة لما فيه من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ **{يونس: ٥ – ٦}** .

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (ما خلق ذلك) لكنه عدل عن ذلك فقال: **﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾**، وأن يقول: (وما خلق في السماوات والأرض) لكنه عدل عن ذلك

---

(١) يُنظر: تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام أبي الحسين البغوي ج٤ صـ ١٢١، وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية الأندلسي ج٣ صـ ١٠٤، ١٠٥، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين البيضاوي ج٣ صـ ١٠٥، وتفسير المراغي للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي ج١١ صـ ٦٤، ٦٥، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٤ صـ ٥٠، ٥١.

فقال: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

المعنى الإجمالي للآيتين:

يبين الحق ﷻ في هاتين الآيتين أنه سبحانه وحده الإله الذي جعل الشمس مضيئة نهارًا والقمر منيرًا ليلًا ودبر أمور معاش جميع البشر هذا التدبير البديع، وقدر سير القمر في فلكه وجعله في منازل وأماكن ينزل كل ليلة في واحد منها لا يجاوزها ولا يقصر دونها يُرى فيها بالأبصار ويحتجب ليلة أو ليلتين، وهذا التقدير سببه ما ذُكر بعد ذلك ٱ سخ سم صح صخصم أي: لتعلموا عدد السنين والأعوام وقت دخولها وانقضائها، ولتعلموا الحساب أي حساب الشهور والأيام والساعات ففيهما من المصالح الدينية والدنيوية ما لا يُحصى، ثم يبين الحق ﷻ أنه ما خلق ذلك إلا خلقًا ملابسًا بالحق والصواب والحكمة البالغة وأنه ﷻ قد فصل هذه الآيات لقوم يعلمون، ثم يبين الحق ﷻ في الآية الثانية أن في اختلاف الليل والنهار وما خلق في السماوات والأرض من المخلوقات آيات لقوم يتقون، وخص المتقين لأنهم الذين يخافون العواقب فيحملهم الخوف على تدبرهم ونظرهم، ولأنه ﷻ هو المدبر لهم أمور دنياهم ومعاشهم فهو الأجدر أن يدبر لهم أمور دينهم ومعادهم فالواجب على كل عاقل ينتفع بعقله: الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ حتى يسعد في الدنيا والآخرة[1] .

---

(١) يُنظر: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ج٣ صـ ١٠٥ وما بعدها، وتفسير ابن جزي الكلبي (التسهيل لعلوم التنزيل) للإمام محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي ج١ صـ ٣٥٣، وتفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير) للإمام أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ج٦ صـ ١٤ وما بعدها، وتفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للإمام الحسن بن محمد النيسابوري ج٣ صـ ٥٦٠، وما بعدها، وتفسير الطاهر بن عاشور (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ج١١ صـ ٩٣ وما بعدها، =

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يمتن الحق ﷻ على عباده بما أنعم عليهم به من نعم مبثوثة في السماء والأرض وذلك ليتوصلوا بها إلى الإيمان به وحده، فكان الأجدر في هاتين الآيتين الإظهار لا الإضمار خاصة أنه في كليهما آثر إظهار اسمه الأعظم (الله) وذلك في حديثه أولًا عن خلق الشمس والقمر وما فيهما من المنافع وثانيا عن خلق ما في السماوات والأرض وما فيهم من المنافع؛ حيث إن ذكره لذلك حتى يؤمن كل ذي عقل به ﷻ وحده؛ وهذا المعنى آكد بالإظهار لا الإضمار، فكأنه ﷻ قد ذكر لهم مع هذه الدلائل ما يتوصلون به إلى الإله الحق المستحق للعبادة وهو الله ﷻ وحده، إضافة لما فيه من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

=

والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٤ صـ٥١ وما بعدها.

المبحث الثاني

مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧﴾ {يونس: ٧}، إلى قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ {يونس: ١٨}، وبيان السر فيها.

وفيه خمسة مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ {يونس: ٧ – ٨}.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (إنهم رضوا بالحياة الدنيا) فعدل عن ذلك وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، وأن يقول: (وهم عن آياتنا غافلون) فعدل عن ذلك فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧﴾.

المعنى الإجمالي للآيتين:

هاتان الآيتان تبينان مصير من كفر بالبعث وغفل عن آيات الله تعالى، والمعنى: إن الذين لا يتوقعون لقاء الله يوم الحساب، فلا يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء، ورضوا بالحياة الدنيا معتقدين أنها لا حياة بعدها، فعملوا لها وغفلوا عن غرورها وخداعها، وسكنوا فيها سكون من لا يبرحها آمنين من المزعجات، والذين هم غافلون عن آيات الله في كونه وعلى ألسنة رسله فلم يتزودوا ليوم الوعيد أولئك الذين تقدمت صفاتهم السيئة، مرجعهم النار بما

واظبوا على كسبه من الكفر والمعاصي[١] .

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يقول الإمام أبو السعود عن الأول: "ففي وضع الموصول موضع الضمير نوعٌ بيانٍ للطغيان بما في حيز الصلةِ وإشعارٌ بعليته للترك والاستدراج"[٢] .

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور عن الأول: "وَلِوُقُوعِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَوْقِعَ الْوَعِيدِ الصَّالِحِ لِأَنْ يَعْلَمَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ عُدِلَ فِيهَا عَنْ طَرِيقَةِ الْخِطَابِ بِالضَّمِيرِ إِلَى طَرِيقَةِ الْإِظْهَار، وَجِيء بالموصولة لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ الصِّلَةَ عِلَّةٌ فِي حُصُولِ الْخَبَرِ"[٣] .

ويقول الإمام أبو السعود عن الثاني: "وتكريرُ الموصولِ للتوسل به إلى جعل صلتِه جملةً اسميةً منبئةً عمَّا هُم عليهِ من استمرار الغفلةِ ودوامِها وتنزيلُ التغايرِ الوصفيِّ منزلةَ التغايرِ الذاتي إيذاناً بمغايرة الوصفِ الأخير للأوصاف الأُوَل واستقلالِه باستتباع العذابِ هذا"[٤] .

---

(١) يُنظر: تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام محمد بن جرير الطبري ج١٥ صـ ٢٥ وما بعدها، وتفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير) للإمام أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي ج٣ صـ ١٠٥، ١٠٦، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج٤ صـ ٥٤.

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج٤ صـ ١٢٦.

(٣) تفسير الطاهر بن عاشور (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ج١١ صـ ٩٩.

(٤) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج٤ صـ ١٢٣.

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور عن الثاني: "وَالَّذِينَ هُمْ غَافِلُونَ هُمْ عَيْنُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ اللِّقَاءَ، وَلَكِنْ أُعِيدَ الْمَوْصُولُ لِلِاهْتِمَامِ بِالصِّلَةِ وَالْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّهَا وَحْدَهَا كَافِيَةٌ فِي اسْتِحْقَاقِ مَا سَيُذْكَرُ بَعْدَهَا مِنَ الْخَبَرِ. وَإِنَّمَا لَمْ يَعُدِ الْمَوْصُولُ فِي قَوْلِهِ: وَرَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا لِأَنَّ الرِّضَى بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ تَكْمِلَةِ مَعْنَى الصِّلَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنا"[1].

فلعل السر في ذلك هو: تقرير ما هم فيه من إنكار البعث والرضى والاطمئنان بالحياة الدنيا عن الحياة الآخرة، وبيان لسبب استحقاقهم للعذاب الذي ذكر في آخر الآية: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ٨**﴾، كما أن فيه أيضًا تشنيعًا وتنفيرًا من الوصفين المذكورين في الآية، ودعوة لإعمال عقولهم حتى تهديهم للإيمان بالله تعالى، وتصديق رسوله ﷺ، والله تعالى أعلى وأعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٢﴾ {يونس: ١٢}.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (فلما كشفناه عنه) و (كأن لم يدعنا إليه) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ**﴾.

المعنى الإجمالي للآية:

يبين الحق ﷻ في الآية السابقة أن الكفار كانوا يستعجلون نزول العذاب الذي توعدهم الله تعالى به استهانة بشأنه، وهنا يبين ﷻ أنه لو نزل بالإنسان أدنى مكروه أو ضر من مرض أو

---

(١) تفسير الطاهر بن عاشور (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ج١١ صـ١٠٠.

فقر أو غير ذلك من الشدائد فإنه يدعو الله تعالى راجيًا منه إنقاذه من هذا المكروه والضر الذي أصابه وإزالته وكشفه وتخليصه منه، ويكون دعاؤه هذا في حال اضطجاعه على جنبه أو في حال قعوده أو في حال قيامه، وخُصت هذه الثلاثة بالذكر لأنها أغلب أحوال الإنسان، ويبين الحق ﷻ أنه بعد أن يكشف الضر عنه يرجع إلى ما كان عليه من التكذيب والعناد مرة أخرى مثلما كان عليه الحال قبل أن يُصيبه الضر، وفي ختام الآية يبين الحق ﷻ أن مثل هذه الحالة العجيبة التي تنكروا فيها لله تعالى ورجعوا إلى الضلال الذي كانوا فيه زين الشيطان للمسرفين في الكفر والمعاصي ما كانوا يعملونه من الانغماس في الشهوات والانهماك في الفجور والعصيان والإعراض عن التوحيد والطاعات[١].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

الآية تتحدث عن الإنسان عامة وخاصة الكفار وأنهم يلجأون إلى الله تعالى حال الشدة ثم بعد كشفها يرجعون إلى ما كانوا عليه من الكفر والجحود والعصيان، وقد ذكر الله تعالى الضر ثلاث مرات وحقه الإظهار في الأولى والإضمار في الثانية والثالثة، ولا شك أن إظهاره فيها جميعًا يتفق مع مراد الله تعالى في هذه الآية من تذكيرهم بالضر الذي يلجأون إن أصابهم له ﷻ والتأكيد عليه حتى يتفكروا ويرجعوا عما هم فيه من الكفر ويؤمنوا بما جاءهم به النبي ﷺ، كما أن فيه تذكيرا بنعم الله تعالى عليهم من كشف الضر الذي يصيبهم مع أنهم لا

---

(١) يُنظر: التفسير البسيط للإمام علي بن أحمد الواحدي ج١١ صـ ١٣٧، وما بعدها، وتفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام الحسين البغوي ج٤ صـ ١٢٤، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام عبد الله بن أحمد النسفي ج٢ صـ ٩، ١٠، وتفسير المراغي للشيخ/ أحمد المراغي ج١١ صـ ٧٥، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٤ صـ ٥٩، ٦٠.

يستحقون ذلك، وزيادة بيان لسوء صنيعهم معه ﷻ من مقابلة الإحسان بالإساءة ولا شك أن ذلك يكون أشد بالإظهار دون الإضمار.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ {يونس: ١٣}.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (كذلك نجزيهم) لكنه عدل عن ذلك فقال:

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

المعنى الإجمالي للآية:

يبين الحق ﷻ في الآيتين السابقتين شأنه في الناس وشأنهم معه بمقتضى الطبع البشري وطغيان الشرك والكفر ليعتبر به مشركو مكة وغيرهم ممن يعقله، ثم بين هنا ما يصدقه من سيرة الأمم الماضية وسنته تعالى فيهم، والخطاب لأمة الدعوة المحمدية موجه أولًا وبالذات إلى قوم النبي ﷺ وأهل وطنه مكة، وقد بين الله تعالى فيها أن إهلاك الأمم السابقة بسبب عنادهم وتكذيبهم لأنبيائهم وكفرهم بالله تعالى مع أنه ﷻ قد أنزل الحجج الواضحة والبينات الساطعة كما أيد رسله بالمعجزات التي تدل على صدقهم، وبين أنه ما كان من شأنهم ولا مقتضى استعدادهم أن يؤمنوا لأنهم مرنوا على الكفر واطمأنوا به وانغمسوا في الظلم والفسق والفجور، وفي ذلك إنذار لمشركي مكة إن هم استمروا على كفرهم وعنادهم وجحودهم أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم السابقة من العذاب، وقد أكد الحق ﷻ ذلك بختام الآية لأنهم كانوا مشتركين معهم في الكفر والجحود والإجرام[1].

---

(١) يُنظر: تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير) للإمام أبي الفرج الجوزي ج٢ صـ٣٢٠، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام أبي سعيد البيضاوي ج٣ صـ١٠٧، وتفسير النيسابوري =

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يقول الإمام البيضاوي: ""كَذلِكَ مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في إمهالهم ﴿**نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ**﴾ نجزي كل مجرم، أو نجزيكم، فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه"[١].

فلعل السر في هذا الموضع هو: بيان كمال جرمهم وأنهم قد بلغوا الغاية القصوى في العتو والإجرام والظلم، وفيه أيضًا: تنصيص على الوصف الذي استحقوا به العذاب إضافة للظلم المذكور في أول الآية فبهما استحقوا العذاب، والوعيد لكم يا أهل مكة؛ لأنكم مشتركون معهم في ذلك.

وهناك احتمال آخر للآية أن لا يكون فيها إظهار في مقام الإضمار، يقول الإمام أبو السعود: "وقد جُوِّز أن يكون المرادُ بالقوم المجرمين أهلَ مكةَ على طريقة وضع الظاهرِ موضعَ ضميرِ الخطابِ إيذانـًا بأنهم أعلامٌ في الإجرام، ويأباه كلَّ الإباء قوله ﷻ: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ**﴾ فإنَّه صريحٌ في أنَّهُ ابتداءٌ تعرّضَ لأمورهم، وأن ما بينّ فيه إنما هو مبادي أحوالِهم لاختبار كيفياتِ أعمالِهم على وجه يُشعر باستمالتهم نحوَ الإيمان والطاعةِ فمُحالٌ أن يكون ذلك إثرَ بيانِ منتهى أمرِهم وخطابِهم ببتّ القولِ بإهلاكهم

=

(غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للإمام الحسن النيسابوري ج٣ صـ ٥٦٨، وتفسير الطاهر بن عاشور (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام محمد الطاهر بن عاشور ج١١ صـ ١١٢ وما بعدها، وتفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) للشيخ/ محمد رشيد رضا ج١١ صـ ٢٥٨، ٢٥٩.

(١) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام البيضاوي ج٣ صـ ١٠٧.

لكمال إجرامِهم"[1] .

فإذا كان المراد بالمجرمين أهل مكة يكون في الآية إظهار في مقام الإضمار، أما إذا لم يكن فلا إظهار في مقام الإضمار فيها، هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ {يونس: ١٥} .

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (وإذا تُتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله) لكنه عدل عن ذلك فقال: **﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ﴾**.

المعنى الإجمالي للآية:

تحدث الحق ﷻ في الآية السابقة عن استخلافه لأهل مكة في الأرض بعد إهلاك المكذبين من الأمم الماضية، ثم بين هنا أنهم لم يستجيبوا لدعوة الإيمان ولم يقوموا بما يقضي به استخلافهم فقد أصروا على الكفر بآيات القرآن البينات والتكذيب بكل ما جاء به الرسول ﷺ كشأن المُهلَكين من الأمم السابقة، فهم إذا تُليت عليهم آيات القرآن قال الذين لا يتوقعون البعث ولا يؤمنون بيوم القيامة أحضر يا محمد قرآنًا غير هذا الذي تتلوه علينا لا يكون فيه آيات تخبر عن وقوع البعث ويكون خاليًا مما نكره من ذم آلهتنا ووعيد من يعبدها بالعقاب الشديد، أو بدل الآيات التي تتحدث عن ذلك بآيات أخرى خالية منها، وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يرد عليهم بأنه ما يصح وما ينبغي لي أبدًا أن أضع آية مكان آية أخرى من جهتي

---

(١) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج٤ صـ١٢٧.

وبرأيي دون أمر من الله ﷻ لأني أخاف إن فعلت ذلك أن يعذبني الله تعالى بعذاب عظيم يوم القيامة، وإذا كان هذا بالنسبة لتبديل بعض الآيات فتبديل القرآن كله أكثر امتناعًا وأشد عذابًا من باب أولى(١) .

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذ الموضع:

يقول الإمام أبو السعود: "وضعَ الموصولُ موضعَ الضميرِ إشعاراً بعلية مَا في حيزِ الصِّلةِ للعظيمة المحكيةِ عنهم وأنهم إنما اجترءوا عليها لعدم خوفِهم من عقابه تعالى يوم اللقاءِ لإنكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وذمًا لهم بذلك"(٢) .

فلعل السر في هذا الموضع: أنهم اشتهروا بهذا الوصف وهو إنكار البعث فصار كالعلم عليهم فلذلك أظهره، يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "وَمَاصدق الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنَا هُوَ مَاصدق الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: (عَلَيْهِمْ)، فَكَانَ الْمَقَامُ لِلْإِضْمَارِ، فَمَا كَانَ الْإِظْهَارُ بِالْمَوْصُولِيَّةِ إِلَّا لِأَنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ اللهِ اشْتَهَرَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَصَارَتْ هَذِهِ الصِّلَةُ كَالْعَلَمِ عَلَيْهِمْ"(٣) .

---

(١) يُنظر: تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام الحسين بن مسعود البغوي ج٤ صـ ١٢٥، وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام عبد الحق بن عطية الأندلسي ج٣ صـ ١٠٩، ١١٠، وتفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن ج٢ صـ ٤٣٢، ٤٣٣، وتفسير الطاهر بن عاشور (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام محمد الطاهر بن عاشور ج١١ صـ ١١٥ وما بعدها، والتفسير البسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٤ صـ ٦٣، ٦٤.

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج٤ صـ ١٢٨.

(٣) تفسير الطاهر بن عاشور (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام محمد الطاهر بن عاشور ج١١ صـ ١١٧.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾ {يونس: ١٦}.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (قل لو شاء ما تلوته عليكم) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾.

المعنى الإجمالي للآية:

تحدثت الآية السابقة عن طلب مشركي مكة من النبي ﷺ أن يأتي لهم بقرآن جديد أو يُبدل بعض الآيات فيه، وأمر الله لنبيه ﷺ أن يرد عليهم بأن ذلك ليس بيده بل الأمر بيد الله ﷻ وحده يفعل ما يشاء، وهنا أمره أيضًا أن يبين لهم أنه لو شاء الله تعالى أن لا أتلو عليكم هذا القرآن، ما تلوته عليكم، ولو شاء الله تعالى أن لا يعلمكم به، بإرسالي إليكم ما أرسلني وما أعلمكم به، ثم دلل على ذلك ببيان أنه ﷺ قد مكث بين ظهرانيهم عمرًا طويلًا، وهو أربعون سنة من قبل تلاوة هذا القرآن عليهم، لم يقل سورةً من مثله ولا آية تشبه آياته، لا في العلم والهداية ولا في البيان والبراعة، وهم قد عرفوه بالصدق والأمانة، وليس ممن يقرأ ولا ممن يكتب ثم تُختم الآية باستفهام الغرض منه التقريع والتوبيخ في قوله أفلا تعقلون؟[1].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

(١) يُنظر: التفسير الوجيز للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ج١ صـ ٤٩٢، وتفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ج٢ صـ ٣٣٥، وتفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير) للإمام أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ج٦ صـ ٢٥، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) للإمام جمال الدين محمد بن محمد القاسمي ج٦ صـ ٢١، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري الشافعي ج١٢ صـ ١٧٣، ١٧٤.

الآية تأمر النبي ﷺ أن يرد على مشركي مكة الذين طلبوا منه تبديل القرآن أو تبديل بعض آياته، ولا شك أن إظهار اسم الله تعالى (الله) في هذا الموضع فيه تقوية وتأكيد للمعنى المراد من هذه الآية وهو تقرير أن المتصرف الوحيد في هذا الكون هو الله ﷻ يفعل ما يشاء وينزل القرآن على من يشاء وكيف شاء، إضافة لما فيه من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث

مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ {يونس: ١٧}، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ {يونس: ٢٥}، وبيان السر فيها.

وفيه أربعة مواضع.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ {يونس: ١٧ - ١٨}.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (فمن أظلم ممن افترى عليه) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، ويقول: (ويعبدون من دونه) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾، ويقول: (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عنده) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ ويقول: (قل أتنبئونه) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾.

المعنى الإجمالي للآيتين:

بعد أن أفادت الآية السابقة أن القرآن الكريم نزل بأمر الله تعالى ومشيئته على رسوله ﷺ جاءت هذه الآية تبين للناس أن من اختلق كلامًا من عند نفسه ونسبه إلى الله تعالى يكون أظلم الظالمين، وكذلك من كذّب بآياته بعد بيانها، وختم ﷻ الآية ببيان أنه لا يُفلح جنس المجرمين ويدخل فيهم من ذكر، ثم بين الحق ﷻ أن مشركي مكة يعبدون من دون الله تعالى ما لا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا ويبررون ذلك بأنهم شفعاؤهم في الحياة الدنيا يتوسلون بهم إلى

الله تعالى لإصلاح معاشهم، وشفعاؤهم في الآخرة إن كان هناك بعث أو نشور، ويأمر نبيه ﷺ أن يرد عليهم قائلًا: أتخبرون الله تعالى بشيء لا وجود له أصلًا في السماوات ولا في الأرض وهو أن الأصنام شفعاؤكم، ثم ختم الحق ﷻ الآية بما يدل على تنزيهه عن شركهم الذي بنوا عليه هذا القول الزائف[1].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

الآيتان كما بينت تجادلان المشركين في عبادتهم غير الله تعالى وزعمهم أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى، ولا شك أن الإظهار في مقام الإضمار في هاتين الآيتين وإيثار اسم الله تعالى (الله) مما يؤيد ما تدعو إليه الآيتان، ففيهما تذكير لمشركي قريش وتقرير أن المستحق بالعبادة هو الله تعالى وحده لا ما تزعمون، إضافة لما فيه من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٢٠﴾ {يونس: ١٩ – ٢٠}.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (ولولا كلمة سبقت مني) فعدل عن ذلك وقال: ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ**﴾، وأن يقول: (ويقولون لولا أنزل عليه آية مني) فعدل عن ذلك

---

(١) يُنظر: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ج٣ صـ١١١، وتفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ج٤ صـ٢٢٢ وما بعدها، وتفسير الشوكاني (فتح القدير) للإمام محمد بن علي الشوكاني ج٢ صـ٤٩٢، وتفسير المراغي للشيخ/ أحمد المراغي ج١١ صـ٨٠.

وقال: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وأن يقول: (فقل إنما الغيب لي) فعدل عن ذلك وقال: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾.

المعنى الإجمالي للآيتين:

يبين الحق ﷻ في الآية الأولى أن الناس كانوا متفقين على الحق والتوحيد وظلوا كذلك حتى أغوى الشيطان فريقًا منهم فكفر، وثبت الآخرون على التوحيد الذي فُطروا عليه، ولولا أنه تعالى لا يُعجل العذاب إلا بعد إقامة الحجة لحكم بينهم عاجلًا في الدنيا بإهلاك الكافرين، ثم بين في الآية الثانية جناية أخرى من جنايات أهل مكة وهي أنهم لم يكفهم ما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ من المعجزات وفي مقدمتها القرآن، فطلبوا تعنتًا وعنادًا معجزات أخرى اقترحوها، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يرد عليهم قائلًا: فانتظروا نزوله إني منتظر ما يفعله الله تعالى بكم لجحودكم ما أنزله من الآيات وطلب غيرها[(١)].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

الآيتان تتحدثان في نفس سياق الآيات السابقة عليها فهي تحاور وتجادل مشركي قريش، ولا شك أن الإظهار فيهما وتنوعه بين اسم (الرب) واسم (الله) يخدم ما تهدف إليه الآيتان من إقامة الحجة على مشركي قريش حتى يؤمنوا بالله ﷻ وحده الذي هو الإله الأوحد الذي يستحق العبادة وهو أيضًا ربهم وخالقهم ورازقهم، إضافة لما فيه من تربية المهابة

---

(١) يُنظر: تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام محمد بن جرير الطبري ج١٥ صـ ٤٧ وما بعدها، وتفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير ج٤ صـ ٢٢٤ وما بعدها، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود العمادي ج٤ صـ ١٣٢ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٤ صـ ٨٨، ٨٩.

وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ **{يونس: ٢١ - ٢٣}**.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (قل هو أسرع مكرًا) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾، وأن يقول: (ادعوه مخلصين له الدين) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

المعنى الإجمالي للآيات:

يصف الحق ﷻ في هاتين الآيتين حال الإنسان الكافر الجاحد حيث إنه يعصي الله ﷻ ويشرك به غيره حال السراء فإذا أصابه ضر من قحط أو غيره لجأ إلى الله تعالى وحده ليكشف عنه هذا الضر فلما يكشفه عنه سرعان ما يعود إلى ما كان عليه وينسى الضر الذي أصابه وينسى أن الله تعالى هو الذي كشف عنه هذا الضر، ثم يبين الحق ﷻ أنه وحده الذي ييسر للإنسان طريقه في البر والبحر، فإذا كان في البحر وكانت الريح هادئة، ثم جاءته رياح شديدة وأمواج عاتية فإنه سرعان ما يلجأ إلى الله تعالى وحده دون ما يعبده من دونه لأنه يعلم أنه لا ينجيه من هذا الموقف إلا الله ﷻ، ثم بعد أن ينجيه من هذا الموقف يرجع إلى ما كان

عليه من البغي في الأرض والإشراك بالله تعالى، ثم يبين ﷻ أن هذا البغي إنما يكون في الدنيا وهي فانية وفي الآخرة يُحاسب على كل ما فعله ويكون مصيره إلى النار[1].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

الآيتان تتفقان مع الموضع الأول من هذا البحث وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٢**﴾ (يونس: ١٢) . في تذكير الإنسان وخاصة الكفار أن القادر على كشف الضر عنهم هو الله ﷻ وحده فناسب في الأول إظهار لفظ الضر لتذكيرهم به حتى لا ينسوه أو يتناسوه، وناسب هنا إظهار اسم الجلالة (الله) لتذكيرهم أنه لا كاشف للضر سواه فليعبدوه وحده ولا يُشركوا به أحدًا، ولا شك أن الإظهار في كلا الموضعين أولى وأنسب للمقام من الإضمار ويعزز ما تهدف إليه الآيتان، إضافة لما فيه من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٢٥﴾ (يونس: ٢٥).

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (وهو يدعو إلى داره) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ**﴾ .

(١) يُنظر: تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام الطبري ج١٥ صـ ٤٩ وما بعدها، وتفسير القشيري (لطائف الإشارات) للإمام القشيري ج٢ صـ ٨٧، ٨٨، وتفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير) للإمام أبي حيان ج٦ صـ ٣٠ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٤ صـ ٧٠ وما بعدها.

المعنى الإجمالي للآية:

يبين الحق تعالى في هذه الآية أنه يدعو الجميع إلى داره وهي الجنة وأُضيفت إليه مع إيثار اسم (السلام) لأنها دار السلامة من دخلها سلم من الآفات، وقيل من تحية السلام لأن الله يحييهم فيها بالسلام وكذا الملائكة وتحيتهم لبعضهم فيها بالسلام، ثم في ختام الآية يبين الحق تعالى أنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو طريق الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية منذ بعثة النبي ﷺ إلى قيام الساعة، والمقصود هداية التوفيق لا البيان(١).

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يقول الإمام أبو السعود: "﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ ترغيبٌ للناس في الحياة الأخرويةِ الباقيةِ إثرَ ترغيبهم عن الحياة الدنيا الفانية، أي: يدعو الناسَ جميعًا إلى دار السلامةِ عن كلِّ مكروهٍ وآفةٍ وهي الجنةُ، وإنما ذُكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معَرْضًا للآفات أو إلى دار الله تعالى، وتخصيصُ الإضافةِ التشريفية بهذا الاسم الكريمِ للتنبيه على ذلك أو إلى دار يسلّم الله أو الملائكةُ فيها على من يدخلها أو يسلم بعضُهم علي بعض"(٢).

فلعل السر في ذلك هو: التأكيد على أنه ﷻ هو المتفرد بالألوهية وحده المستحق للعبادة دون من سواه يثيب من يطيعه بالجنة ويجازي من يعصيه بالنار، ولذلك آثر أولًا اسمه

---

(١) يُنظر: تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام البغوي ج٤ صـ ١٢٩، وتفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) للإمام السيوطي ج٤ صـ ٣٥٤، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود ج٤ صـ ١٣٧، ١٣٨، وتفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) للشيخ/ محمد رشيد رضا ج١١ صـ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٢) تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٤ صـ ١٣٧، ١٣٨.

(الله) في مقام دعوة الجميع لجنته، وآثر ثانيًا اسمه (السلام) للدلالة على أنها دار السلامة من جميع الآفات وأن من فيها يسلمون منها، ويُسلِّم الله تعالى عليهم وملائكته ويسلِّم بعضهم على بعض، إضافة لما فيه من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

المبحث الرابع

مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ {يونس: ٢٦}، إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ {يونس: ٣٨}، وبيان السر فيها.

وفيه خمسة مواضع.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ {يونس: ٢٦ – ٢٧} .

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (ما لهم مني من عاصم) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ﴾.

المعنى الإجمالي للآيتين:

يبين الحق ﷻ في الآية الأولى حسن عاقبة الذين استجابوا لدعوته، واتبعوا صراطه المستقيم، فبين أن لهم المنزلة الحسنى وهي الجنة، ولهم زيادة على ذلك التفضل من الله تعالى عليهم بالنظر إلى وجهه الكريم، ولا يغطى وجوههم يوم القيامة شيء مما يغطى وجوه الكفار، من السواد والهوان والصغار، ثم ذيَّل الآية بما يُفيد تأكيد مدحهم ومسرتهم وأنهم أصحاب الجنة خالدين فيها، ثم بين ﷻ في الآية الثانية مصير الظالمين، فأخبر ﷻ أن جزاءهم ما يستحقونه من عذاب أليم ومصير سيئ، وأنهم تُغَطِّيهم ذلة عظيمة ومهانة شديدة، وأنه ليس لهم أحد يعصمهم أو يجيرهم أو يشفع لهم، فكأن وجوههم قد أُلبِست قطعًا من الليل المظلم، والسواد الحالك، حتى صارت شديدة السواد واضحة الكُدرة والظلمة، ثم يُذيِّل

الآية ببيان سوء عاقبتهم، وتعاسة أحوالهم وأنهم أصحاب النار خالدين فيها[1].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

الآيتان توضحان جزاء الطائعين والعاصين يوم القيامة فناسب في الآية الثانية التي تتحدث عن جزاء العاصين أن يُظهر الحق ﷻ اسمه (الله) حتى يبين لهم أن ما استحقوه من العذاب بسبب عصيانهم الإله الحق المستحق للعبادة دون غيره، فالإظهار لبيان جلال من عُصي وأنه لا مخلص لهم منه، وهذا مما لا شك فيه أقوى عند الإظهار منه عند الإضمار إضافة لما فيه من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ {يونس: ٢٨ – ٣٠}.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (وقالوا ما كنتم إيانا تعبدون) فعدل عن ذلك وقال: ﴿**وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ**﴾، وأن يقول: (فكفى به شهيدًا) فعدل عن ذلك وقال: ﴿**فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾، وأن يقول: (وردوا إليه) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾.

المعنى الإجمالي للآيات:

يبين الله تعالى في هذه الآيات ما سيحدث يوم القيامة، حين يجمع الخلائق في صعيد واحد، فيُقال للمشركين آنذاك: الزموا مكانكم وموقفكم واثبتوا فيه أنتم ومعبوداتكم التي

---

(١) يُنظر: التفسير الوسيط للإمام الواحدي ج٢ صـ ٥٤٤ وما بعدها، وتفسير الطاهر بن عاشور ج١١ صـ ١٤٥ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٧ صـ ٥٧ وما بعدها.

كنتم تعبدونها من دون الله تعالى، حتى تُسألوا ويُفصل بينكم، ويقول شركاؤهم لهم: ما كنتم إيانا تعبدون، فكفى بالله ﷻ شهيدًا وحكمًا بيننا وبينكم، فهو العليم بحالنا وحالكم فنحن كنا عن عبادتكم إيانا جاهلين لا نعلمها ولا نرضى بها، وفي ذلك الموقف تذوق كل نفس سعيدة أو شقية جزاء ما قدمت من عمل، فتعلم نفعه أو ضره، وحين ذاك يُعرِض الذين أشركوا عن المولى الباطل، ويرجعوا إلى المولى الحق الصادق الربوبية، ويقروا بألوهيته ووحدانيته بعد أن كانوا في الدنيا يعبدون غيره، ويُردون إلى حكمه وجزائه وما أعدَّ لهم من عقابه(١).

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

لعل السر في الأول هو: التنصيص على وصف معبوداتهم حيث أشركوهم مع الله تعالى في العبادة، واشتركوا معهم في الكفر، وذلك أدعى لاستحقاق الجزاء الذي أعده الله تعالى لهم، وفي الثاني والثالث التأكيد على أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ فهو وحده الذي يعلم كل شيء ويفصل بينهم وبين شركائهم ولذلك أظهره فيهما مع إيثار اسم الجلالة (الله) حتى يتحقق الهدف من الآيات، إضافة لما فيه من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

---

(١) يُنظر: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام عبد الحق بن عطية ج٣ صـ ١١٦، ١١٧، وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب) للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي ج١٧ صـ ٢٤٣ وما بعدها، وتفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير ج٤ صـ ٢٣١، ٢٣٢، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري الشافعي ج١٢ صـ ٢١٦ وما بعدها.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ **{يونس: ٣١ - ٣٣}**.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (فسيقولون أنا) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ**﴾، وأن يقول: (فذالكم أنا الحق) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ**﴾، وأن يقول: (كذلك حقت كلمتي) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿**كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ**﴾.

المعنى الإجمالي للآيات:

يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين: من الذي يرزقكم من السماء بالأمطار وما يتولد عنها، ومن الأرض وما يخرج منها من نباتات وأشجار؟ ومن الذي يملك ما تتمتعون به من سمع وبصر؟ ومن سوى الله تعالى يملك إخراج الحي من الميت والعكس؟ ومن الذي يتولى تدبير أمر هذا الكون بما فيه؟ ويحكي جوابهم الذي لا يستطيعون إنكاره، بأنه هو الله تعالى وحده؛ لأنهم مقرون بأنه تعالى هو الذي خلقهم، وهو الذي يدبر أمرهم، ثم يأمر رسوله ﷺ أن يؤكد على ذلك قائلاً لهم: إن الذي فعل ما فعل من رزقكم ومن تدبير أمركم، هو الله المُربِّى لكم بنعمه، وهو الذي لا تحق العبودية والألوهية إلا له وحده، وهذا هو الحق وليس بعده إلا الباطل والضلال، فكيف تتحولون عن الحق إلى الضلال؟ ، ثم يبين ﷻ سنة من سننه التي لا تتخلف ولا تتبدل، وهي أنه قد سبق الحكم والقضاء منه ﷻ على

الذين فسقوا عن أمره، وعموا وصموا عن الحق، أنهم لا يؤمنون به[١].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "وَاسْمُ الْإِشَارَةِ عَائِدٌ إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِ جَدِيرٌ بِالْحُكْمِ الَّذِي سَيُذْكَرُ بَعْدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ مِنْ أَجْلِ الْأَوْصَافِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى اسْمِ الْإِشَارَةِ وَهِيَ كَوْنُهُ الرَّازِقَ، الْوَاهِبَ الْإِدْرَاكَ، الْخَالِقَ، الْمُدَبِّرَ، لِأَنَّ اسْمَ الْإِشَارَةِ قَدْ جَمَعَهَا. وَأَوْمَأَ إِلَى أَنَّ الْحُكْمَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ مُعَلَّلٌ بِمَجْمُوعِهَا. وَاسْمُ الْجَلَالَةِ بَيَانٌ لِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِزِيَادَةِ الْإِيضَاحِ تَعْرِيضًا بِقُوَّةِ خَطَئِهِمْ وَضَلَالِهِمْ فِي الْإِلَهِيَّةِ. وَرَبُّكُمُ خَبَرٌ. الْحَقُّ صِفَةٌ لَهُ"[٢].

فلعل السر في ذلك هو: التنصيص على أنه لا إله ولا رب سوى الله ﷻ ولذلك أظهر اسم الجلالة (الله) مرتين و (الرب) مرتين أيضًا لينتقل بهم من الإقرار له تعالى بالربوبية إلى الإقرار له تعالى بالألوهية حتى يتحقق الغرض من الآيات، إضافة لما فيه من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

---

(١) يُنظر: تفسير النيسابوري للإمام الحسن بن محمد النيسابوري ج٣ صـ ٥٨٠، ٥٨١، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود ج٤ صـ ١٤١ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر/ محمد سيد طنطاوي ج٧ صـ ٦٣.

(٢) تفسير الطاهر بن عاشور ج١١ صـ ١٥٨.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (يونس: ٣٤ - ٣٥).

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (قل هو يبدؤ الخلق ثم يعيده) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ**﴾، وأن يقول: (قل هو يهدي إليه) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ**﴾، وأن يقول: (أفمن يهدي إليه أحق أن يتبع) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ**﴾.

المعنى الإجمالي للآيتين:

ما زال سياق الآيات في إقامة الحجة على المشركين حيث يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسألهم: هل أحد من شركائكم الذين عبدتموهم مع الله أو من دون الله مَن له هذا التصرف فى الكون ببدء الخلق فى طور ثم إعادته فى طور آخر؟ ، وأن يجيبهم قائلًا لهم: إنه اللهُ تعالى وحده، فالقادر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى، فكيف تُصرفون من الحق وهو التوحيد إلى الضلال البيّن، وهو الإشراك وعبادة الأصنام، ثم يأمر نبيه ﷺ أن يسألهم قائلًا: هل من أولئك الشركاء من يهدى إلى الحق بوجه من وجوه الهداية التي بها تتم حكمة الخلق؟ ، وأن يجيبهم قائلًا لهم: إنه الله سبحانه الذي يهدى إلى الحق دون غيره، أفمن يهدى إلى الحق وهو الله أحق أن يُتّبع فيما يُشرّعه، أم من لا يهدى غيره ولا يهتدى بنفسه إلا أن يهديه غيره وهو الله تعالى؟ فأيّ شيء أصابكم؟ وماذا حلّ بكم؟ حتى اتخذتم هؤلاء شركاء

وجعلتموهم وسطاء بينكم وبين ربكم الذي لا خالق ولا رازق ولا هادى لكم سواه[١].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "وَهَذَا مَقَامُ تَقْرِيرِ وَتَعْدِيدِ الِاسْتِدْلَالِ، وَهُوَ مِنْ دَوَاعِي التَّكْرِيرِ وَهُوَ احْتِجَاجٌ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ حَالَ آلِهَتِهِمْ عَلَى الضِّدِّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى، فَبَعْدَ أَنْ أَقَامَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ عَلَى انْفِرَادِ اللهِ تَعَالَى بِالرِّزْقِ وَخَلْقِ الْحَوَاسِّ وَخَلْقِ الْأَجْنَاسِ وَتَدْبِيرِ جَمِيعِ الْأُمُورِ وَأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْإِلَهِيَّةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ الِانْفِرَادِ بَيَّنَ هُنَا أَنَّ آلِهَتَهُمْ مَسْلُوبَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَأَنَّ اللهَ مُتَّصِفٌ بِهَا. وَإِنَّمَا لَمْ يُعْطَفْ لِأَنَّهُ غَرَضٌ آخَرُ مُسْتَقِلٌّ، وَمَوْقِعُ التَّكْرِيرِ يَزِيدُهُ اسْتِقْلَالًا"[٢].

يُلاحظ أن الآيات ما زالت تقيم الحجة على المشركين ببيان أنه لا معبود بحق إلا الله تعالى، ولا شك أن إظهار لفظ الجلالة فيها (الله) يخدم ما تهدف إليه الآيات من إقامة الحجة على المشركين، وكذا إظهار كلمة الحق، ففي إظهارها مع بيان أنه لا يهدي إلى الحق أحد إلا الله ﷻ تأكيد على ما تهدف إليه الآيات وتنصيص على أن ما يعبدونه من دون الله تعالى لا يهدي للحق وإنما يهدي للباطل والضلال، وهذا يتحقق أكثر بالإظهار في هذه المواضع، إضافة لما في إظهار اسم الله تعالى من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

---

(١) يُنظر: التفسير البسيط للإمام الواحدي ج١١ صـ ١٩٢، وتفسير البيضاوي ج٣ صـ ١١٢، ١١٣، وتفسير المراغي للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي ج١١ صـ١٠٣، ١٠٤.

(٢) تفسير الطاهر بن عاشور ج١١ صـ١٦٠، ١٦١.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ {يونس: ٣٦ - ٣٨}.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (إنه لا يُغني من الحق شيئًا) فعدل عن ذلك فقال: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ﴾، وأن يقول: (إني عليم بما يفعلون) فعدل عن ذلك فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾، وأن يقول: (وادعوا من استطعتم من دوني) فعدل عن ذلك فقال: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

المعنى الإجمالي للآيات:

بعد الأَسئلة السابقة والأَجوبة عليها التي دلت على حقية التوحيد وبطلان الشرك جاءَت هذه الآية توضح سبب خطئهم في اعتقادهم وهو اعتماد أَكثرهم على الظن في أَحكامهم، دون أَن يكون لهم دليل يدعو إلى الاطمئنان واليقين، وبين ﷻ أَن الظن لا يقوم مقام اليقين الناشئ عن البراهين القطعية في شئون العقائد، ثم بعد ذلك بين ﷻ استحالة أَن يكون القرآن مفترى من عند محمد ﷺ نافيًا ما زعمه المشركون، فالله تعالى أَنزله مصدقًا وموافقًا لما تقدم من الكتب السماوية، في أُصول العقائد والأَحكام قبل أَن يعتريها التحريف، ومفصلًا لما أَجملته، ثم حكى ﷻ زعمهم أن محمدًا ﷺ افتراه، وتعجب من قولهم ورد فريتهم متحديًا لهم أن يأتوا بسورة مثل أَيَّة سورة من سوره حتى يصح زعمهم، وتوسع في دائرة التحدى وطلب منهم أَن

يستعينوا بمن يستطيعون الاستعانة به بشرًا أَو آلهة[1].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

لعل السر في ذلك هو: التركيز على أن معتقداتهم باطلة ناشئة عن أوهام توارثوها عن آبائهم لا تمت إلى الحقيقة بصلة لذلك كرر وصفها بأنها ظن لا حقيقة، وكذا ركز على أن الاعتقاد الحق هو الإيمان بالله تعالى وحده، وأظهر اسم الجلالة (الله) ليؤكد ذلك؛ حتى يؤمن من كان عنده قليل من التفكر والنظر، إضافة لما في إظهار اسم الله تعالى من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، والله تعالى أعلم.

(١) يُنظر: تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للإمام نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ج٣ صـ ٥٨١، ٥٨٢، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) للإمام محمد جمال الدين القاسمي ج٦ صـ ٢٤ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٤ صـ ٨٨ وما بعدها.

المبحث الخامس

مواضع الإظهار في مقام الإضمار من أول قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ {يونس: ٣٩}، إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ {يونس: ٥٢}، وبيان السر فيها.

وفيه خمسة مواضع.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ {يونس: ٣٩ - ٤٠}

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (فانظر كيف كان عاقبتهم) فعدل عن ذلك فقال: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، وأن يقول: (وربك أعلم بهم) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

المعنى الإجمالي للآيتين:

تحدى الله ﷻ المشركين في الآية السابقة أن يأتوا بمثل أي سورة من سور القرآن الكريم، ثم انتقل إلى بيان أنهم سارعوا إلى تكذيب القرآن قبل أن يتدبروه ويفهموا معانيه وما اشتمل عليه، وقبل أن يعرفوا صدق ما اشتمل عليه من الأخبار السابقة، وممَّا سيحدث من الأمور المستقبلة، أو قبل أن يفهموه حق الفهم وتتعقله عقولهم، ومثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم من الأمم عندما جاءتهم الرسل بحجج الله وبراهينه، فانظر كيف كان عاقبتهم، فقد حل بهم عقاب الله تعالى نظير ظلمهم وتكذيبهم رسلهم، ثم بين الحق تبارك وتعالى أن من هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن من يؤمن به في نفسه، ولكنه كذب به مكابرة وعنادًا،

ومنهم من لا يؤمن به في نفسه، بل كذب به جهلًا، أو: ومنهم من يؤمن به في المستقبل ومن لا يؤمن به في المستقبل، وربك أعلم بالمصرين المعاندين، أو بكلا الطائفتين[(١)].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يقول الإمام أبو السعود عن الأول: " ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِـينَ﴾ وهم الذين مِن قَبْلِهِم من المكذبين وإنما وضع المظهر موضعَ المضمر للإيذان بكون التكذيبِ ظلماً أو بعلّيته لإصابة ما أصابهم من سوء العاقبةِ وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم جرما ووعيداً دخولاً أولياً"[(٢)].

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور عن الأول: "وَالْأَمْرُ بِالنَّظَرِ فِي عَاقِبَةِ الظَّالِمِينَ مَقْصُودٌ مِنْهُ قِيَاسُ أَمْثَالِهِمْ فِي التَّكْذِيبِ عَلَيْهِمْ فِي تَرَقُّبِ أَنْ يَحُلَّ بِهِمْ مِنَ الْمَصَائِبِ مِثْلُ مَا حَلَّ بِأُولَئِكَ لِتَعْلَمَ عَظَمَةَ مَا يُلَاقُونَكَ بِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ فَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّهُمْ مُفْلِتُونَ مِنَ الْعَذَابِ"[(٣)].

فلعل السر فيه هو بيان أنهم بلغوا الغاية العظمى في الظلم وتكذيب الرسل، ولذلك استحقوا ما وقع بهم من العذاب، وفي ذلك تهديد للمشركين أنهم سيحل بهم ما حل بالأمم السابقة من العذاب إن استمروا في ظلمهم وتكذيبهم النبي ﷺ.

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور عن الثاني: "وَجُمْلَةُ: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ مُعْتَرِضَةٌ

---

(١) يُنظر: تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام الطبري ج١٥ صـ ٩٣ وما بعدها، وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب) للإمام الرازي ج١٧ صـ ٢٥٥ وما بعدها، وتفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل) للإمام محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي جـ١ صـ ٣٥٧، وتفسير الشوكاني (فتح القدير) للإمام محمد بن علي الشوكاني ج٢ صـ ٥٠٧ وما بعدها.

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج٤ صـ ١٤٧.

(٣) تفسير الطاهر بن عاشور ج١١ صـ ١٧٤.

فِي آخِرِ الْكَلَامِ عَلَى رَأْيِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَعَانِي، وَهِيَ تَعْرِيضٌ بِالْوَعِيدِ وَالْإِنْذَارِ، وَبِأَنَّهُمْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، لِلْعِلْمِ بِأَنَّهُ مَا ذكر بِالْمُفْسِدِينَ هُنَا إِلَّا لِأَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لذكر بِالْمُفْسِدِينَ مُنَاسَبَةٌ، فَالْمَعْنَى: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِهِمْ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ الَّذِينَ هُمْ من زمرتهم"[1].

فلعل السر فيه هو التنصيص على إفسادهم واستمرارهم في الظلم وعنادهم، وبيان أنه تعالى عليم بهم وبظلمهم وإفسادهم، وسيُجازيهم عليه في الدنيا والآخرة، ولا شك أن الإظهار في كليهما فيه تنفير من الظلم والإفساد وتكذيب الرسل، والله تعالى أعلى وأعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ {يونس: ٤٢ - ٤٣}

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (أفأنت تسمعهم) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ**﴾، وأن يقول: (أفأنت تهديهم) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ**﴾.

المعنى الإجمالي للآيتين:

يبين الحق ﷻ في هاتين الآيتين أن من المكذبين ناس يصيخون بأسماعهم إذا قرأت القرآن أو بينت ما فيه من أصول الشرائع والأحكام، ولكنهم لا يسمعون إذ يستمعون، فهم لا يتدبرون القول ولا يتفقهون ما يراد منه، ثم يخاطب الله تعالى نبيه ﷺ مبينًا أن السماع النافع للمستمع هو الذي يعقل به ما يسمعه ويفقهه ويعمل به، ومن فقد هذا كان كالأصم الذي لا يسمع، وإنك أيها الرسول الكريم لم تُؤت القدرة على إسماع الصُم فكذلك لا تستطيع أن

---

(١) المرجع السابق ج١١ صـ ١٧٥.

تُسمع إسماعا نافعا من فى حكمهم وهم الذين لا يعقلون ما يسمعون ولا يفقهون معناه فيهتدوا به وينتفعوا بعظاته، ثم يبين الحق ﷻ أن منهم من يتجه نظره إليك حين تقرأ القرآن ولكنه لا يبصر ما آتاك الله من نور الإيمان والخلق العظيم وأمارات الهدى والتزام الصدق، ثم يخاطب الله تعالى نبيه ﷺ مبينًا أنه كما لا يقدر على هداية العُمى بدلائل البصر الحسية، لا يقدر على هدايتهم بالدلائل العقلية(١).

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "وَهَذَانِ الِاسْتِفْهَامَانِ مُسْتَعْمَلَانِ فِي التَّعْجِيبِ مِنْ حَالِهِمْ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَى دَعْوَةِ النَّبِيءِ ﷺ وَلَا يَعْقِلُونَهَا، وَإِذْ يَنْظُرُونَ أَعْمَالَهُ وَسِيرَتَهُ وَلَا يَهْتَدُونَ بِهَا"(٢).

فلعل السر فيهما هو بيان أنهم كالصم والعمي في عدم الانتفاع بما يسمعونه وما يرونه من الدلائل والبينات والمعجزات، بل هم أشد من الصم والعمي، فلذلك أظهر هذين الوصفين، ولا شك أن إظهارهما أولى من إضمارهما، إضافة لما فيه من التشنيع عليهم لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله تعالى من الحواس التي لو أعملوها لتوصلوا إلى الإيمان بالله ﷻ وبرسوله ﷺ، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) يُنظر: التفسير البسيط للإمام الواحدي ج١١ صـ ٢٠٥، ٢٠٦، وتفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ج٤ صـ ٢٣٦، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود العمادي ج٤ صـ ١٤٨، وتفسير المراغي للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي ج١١ صـ ١١١، ١١٢.

(٢) تفسير الطاهر بن عاشور ج١١ صـ ١٧٨.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ٤٥﴾ {يونس: ٤٤ - ٤٥}.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (إني لا أظلم الناس شيئًا) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا**﴾، وأن يقول: (ولكنهم أنفسهم يظلمون) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ**﴾، وأن يقول: (قد خسروا وما كانوا مهتدين) فعدل عن ذلك فقال: ﴿**قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ**﴾.

المعنى الإجمالي للآيتين:

بين الحق ﷻ فيما سبق امتناع اهتدائهم لأنهم عطلوا أسماعهم وأبصارهم وعقولهم، ثم بين هنا أنه تعالى لم يظلمهم حيث وهب الناس الأسماع والأبصار والعقول وسائر الحواس، ليصرفوها فيما خلقت من أجله، فلا عذر لأحد بعد ذلك، ثم أمر نبيه ﷺ أن يحذرهم يوم يحشرهم الله ويجمعهم بعد بعثهم من القبور في موقف الحساب والجزاء، وحين يخرجون من قبورهم يتعارفون بينهم، فلا ينسى أحد منهم من كان يعرفه من قبل، ثم تنقطع المعرفة عندما يشاهدون أهوال القيامة، وقد بين الله تعالى ضلالهم فيما ذهبوا إليه وأنهم ما كانوا مهتدين إلى الصواب فيما ذهبوا إليه واختاروه لأنفسهم، من إيثارهم الفانى على الباقي، والعاقل من يستعمل عقله ويأخذ حذره، ويختار الأصلح والأنفع والأبقى، والمقصود من لقاء الله: حسابه وجزاؤه في الآخرة[1].

---

(١) يُنظر: تفسير البغوي ج٤ صـ ١٣٥، ١٣٦، وتفسير ابن عطية ج٣ صـ ١٢٢، ١٢٣، وتفسير القاسمي ج٦ صـ ٢٨، ٢٩، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٤ صـ ٩٧، ٩٨.

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يقول الإمام أبو السعود عن الأول: "وضْعِ الظاهِرِ موضعَ الضَّميرِ لزيادة تعيينٍ وتقريرٍ، أي: لكنهم بعدم استعمالِ مشاعِرهم فيما خُلقت له وإعراضِهم عن قبول دعوةِ الحق وتكذيبِهم للرسل والكتب"[١].

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور عن الأول: " وَعُمُومُ النَّاسَ الْأَوَّلُ عَلَى بَابِهِ وَعُمُومُ النَّاسَ الثَّانِي مُرَادٌ بِهِ خُصُوصُ النَّاسِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِقَرِينَةِ الْخَبَرِ. وَإِنَّمَا حَسُنَ الْإِتْيَانُ فِي جَانِبِ هَؤُلَاءِ بِصِيغَةِ الْعُمُومِ تَنْزِيلًا لِلْكَثْرَةِ مَنْزِلَةَ الْإِحَاطَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ غَالِبُ حَالِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ"[٢].

فلعل السر في الأول هو: التنصيص على أنه تعالى وحده المستحق للعبادة وأنه وحده العدل لا يظلم أحدًا من الناس وأن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم، فلذلك أظهر اسمه (الله) وأظهر الناس، وفي ذلك زيادة تأكيد على ما تهدف إليه الآية، إضافة لما في إظهار اسم الله تعالى من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين.

ويقول الإمام أبو السعود عن الثاني: "والتعبيرُ عنهم بالموصول مع كون المقام مقام إضمارٍ لذمِّهم بما في حيزِ الصلة والإشعار بعليته لما أصابهم، والمرادُ بلقاء الله إن كان مطلقَ الحسابِ والجزاءِ أو حسنَ اللقاءِ فالمراد بالخسران الوضيعةُ والمعنى: وضَعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائِهم الكفرَ بالإيمان والضلالةَ بالهدى"[٣].

---

(١) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج٤ صـ١٤٩.

(٢) تفسير الطاهر بن عاشور ج١١ صـ١٨٠.

(٣) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج٤ صـ١٥٠.

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور عن الثاني: "وَلِذَلِكَ عَدَلَ عَنِ الْإِضْمَارِ إِلَى الْمَوْصُولِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ دُونَ قَدْ خَسِرُوا، لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ سَبَبَ خُسْرَانِهِمْ هُوَ تَكْذِيبُهُمْ بِلِقَاءِ اللهِ وَذَلِكَ التَّكْذِيبُ مِنْ آثَارِ الشِّرْكِ فَارْتَبَطَ بِالْجُمْلَةِ الْأُولَى، وَهِيَ جُمْلَةُ: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝٣٠**﴾ [يُونُس: ٢٨ - ٣٠] "[1].

فلعل السر في الثاني هو: التنصيص على الوصف الذي استحقوا به الخسران في الآخرة وهو تكذيبهم بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء، فلو كانوا يؤمنون به لآمنوا برسالة النبي ﷺ، ولنجوا من عقاب الله تعالى، فلذلك أظهر ذلك الوصف، وفيه أيضًا: تأكيد للآية الأولى من أن الله تعالى لا يظلم أحدًا، وإنما الناس هم الذين يظلمون أنفسهم، والله تعالى أعلى وأعلم.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝٤٦ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٧﴾ (يونس: ٤٦ - ٤٧).

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (ثم أنا شهيد على ما يفعلون) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿**ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ**﴾، وأن يقول: (فإذا جاء قضي بينهم بالقسط) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿**فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ**﴾.

المعنى الإجمالي للآيتين:

يخاطب الحق ﷻ رسوله ﷺ قائلًا: إن هؤلاء المشركين الذين ناصبوك العداوة أيها

---

(١) تفسير الطاهر بن عاشور ج١١ صـ١٨١.

الرسول الكريم لا يخفى علينا أمرهم، ونحن إما نرينك ببصرك بعض الذي نعدهم به من العذاب الدنيوي، وإما نتوفينك، قبل ذلك، وفي كلتا الحالتين فإن مرجعهم إلينا وحدنا في الآخرة، فنعاقبهم العقوبة التي يستحقونها، ثم بين سبحانه أن من مظاهر رحمته بعباده، أن جعل لكل أمة رسولًا يهديها إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، فإذا جاء رسولهم وشهد بأنه قد بلغهم ما أمره الله به، قضى سبحانه بينه وبينهم بالعدل، فحكم بنجاة المؤمن وبعقوبة الكافر، ولا يظلم ربك أحدا[١].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يقول الإمام أبو السعود: " ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ من الأفعال السيئةِ التي حُكيت عنهم والمرادُ بالشهادة إما مقتضاها ونتيجتُها وهي معاقبتُه تعالى إياهم، وإما إقامتُها وأداؤُها بإنطاق الجوارحِ، وإظهارُ اسمِ الجلالةِ لإدخال الروعةِ وتربيةِ المهابةِ وتأكيدِ التهديد"[٢].

فلعل السر في ذلك هو: التأكيد على ما تهدف إليه الآيتان وهو أن الله تعالى شهيد ومطلع على أعمالهم، وفيه تذكير لهم أن يؤمنوا به تعالى فهو المستحق للعبادة دون غيره، وفيه أيضًا تأكيد للآيات السابقة من أن الله تعالى لا يظلم الناس شيئا وإنما هم الظالمون لأنفسهم بعدم إعمال عقولهم وسمعهم وأبصارهم، إضافة لما في إظهار اسم الله تعالى من تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين، وإظهار لفظ (رسلهم) فيه أيضًا تأكيد على ما سبق

---

(١) يُنظر: التفسير البسيط للإمام الواحدي ج١١ صـ ٢١٦ وما بعدها، وتفسير النسفي ج٢ صـ ٢٥، ٢٦، وتفسير الطاهر بن عاشور ج١١ صـ ١٨٣ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٧ صـ ٧٩، ٨٠.

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج٤ صـ ١٥١.

ببيان أنه تعالى هو العدل لا يظلم أحدًا، وعقابه يكون بعد إرسال الرسل وإقامة الحجة على المكذبين الكافرين، والله تعالى أعلى وأعلم.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٥٢﴾ {يونس: ٥٠ - ٥٢}.

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (ماذا تستعجلون منه) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿**مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠**﴾، وأن يقول: (ثم قيل لكم ذوقوا عذاب الخلد) لكنه عدل عن ذلك فقال: ﴿**ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ**﴾.

المعنى الإجمالي للآيات:

يأمر الله ﷻ الرسول ﷺ أن يقول للمشركين: أخبروني عن حالكم وما يمكنكم أن تفعلوه إن أتاكم عذاب الله تعالى الذي تستعجلون به فى وقت مبيتكم بالليل أو في وقت اشتغالكم بلهوكم ولعبكم أو بأمور معاشكم بالنهار، أيّ نوع من العذاب يستعجل منه المجرمون الكذابون؟ أعذاب الدنيا أم عذاب يوم القيامة؟ ثم إذا وقع بالفعل أتؤمنون به حين لا ينفع الإيمان؟ ثم قال لهم على سبيل التوبيخ: آلآن آمنتم به اضطرارا، وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا به واستكبارا، ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالرسالة والوعد والوعيد: تجرعوا عذاب الله الدائم لكم أبدا بحيث لا فناء له ولا زوال، ثم بين ﷻ أن هذا العذاب جزاء ما صنعوا فى الدنيا، وليس فى هذا الجزاء شىء من الظلم، لأنه أثر لازم لما

عملوا[١] .

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يقول الإمام أبو السعود عن الأول: "والمجرمون موضوعٌ موضعَ المضمر لتأكيد الإنكارِ ببيان مباينةِ حالِهم للاستعجال فإن حقَّ المجرمِ أن يَهلك فزَعاً من إتيان العذابِ فضلاً عن استعجاله"[٢] .

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور عن الأول: "وَالْمُجْرِمُونَ: أَصْحَابُ الْجُرْمِ وَهُوَ جُرْمُ الشِّرْكِ. وَالْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿**مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ**﴾ [يُونُس: ٤٨]، وَهُمْ مُشْرِكُو مَكَّةَ، فَوَقَعَ الْإِظْهَارُ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ عِوَضَ أَنْ يُقَالَ مَاذَا يَسْتَعْجِلُونَ مِنْهُ لِقَصْدِ التَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ بِالْإِجْرَامِ، وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى خَطَئِهِمْ فِي اسْتِعْجَالِ الْوَعِيدِ لِأَنَّهُ يَأْتِي عَلَيْهِمْ بِالْإِهْلَاكِ فَيَصِيرُونَ إِلَى الْآخِرَةِ حَيْثُ يُفْضُونَ إِلَى الْعَذَابِ الْخَالِدِ فَشَأْنُهُمْ أَنْ يَسْتَأْخِرُوا الْوَعْدَ لَا أَنْ يَسْتَعْجِلُوهُ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى لَا يَسْتَعْجِلُونَ مِنْهُ إِلَّا شَرًّا"[٣] .

ويقول الإمام أبو السعود عن الثاني: "ووضعُ الموصولِ موضعَ الضميرِ لذمِّهم بما في حيزِ الصلة والإشعارِ بعلّيته لإصابة ما أصابهم ذُوقُواْ عَذَابَ الخلد المؤلمَ على الدوام"[٤] .

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور عن الثاني: "وَالَّذِينَ ظَلَمُوا هُمُ الْقَائِلُونَ ﴿**مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ**﴾ [يُونُس: ٤٨] . وَأَظْهَرَ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ لِتَسْجِيلِ وَصْفِ الظُّلْمِ عَلَيْهِمْ وَهُوَ ظُلْمُ

---

(١) يُنظر: تفسير البيضاوي ج٣ صـ ١١٥، وتفسير ابن كثير ج٤ صـ ٢٣٨، وتفسير أبي السعود ج٤ صـ ١٥٢ وما بعدها، وتفسير المراغي ج١١ صـ ١١٨.

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج٤ صـ ١٥٢، ١٥٣.

(٣) تفسير الطاهر بن عاشور ج١١ صـ ١٩٣.

(٤) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج٤ صـ ١٥٣.

النَّفْسِ بِالْإِشْرَاكِ"[1] .

فبالنظر إلى سياق الآيات أجده يتحدث عن إقامة الحجة على المشركين، فيحاورهم الحق ﷻ ليتفكروا حتى يهديهم تفكيرهم إلى الإيمان به تعالى، فأولًا يأمر نبيه ﷺ أن يسألهم ماذا هم فاعلون إذا وقع عليهم عذاب الله تعالى الذي يستعجلونه؟ هل سيؤمنون وقت لا ينفع الإيمان؟ ولا شك أن إظهار صفة الإجرام التي تأصلت فيهم أبلغ من إضمارها، فالإظهار هنا يحقق هدف الآية، وكذا في الآية الأخرى التي أظهر فيها ظلمهم الذي بسببه استحقوا عذاب الله يوم القيامة، ولا شك أن الإظهار فيهما أولى من الإضمار، ففيه بيان أنهم صاروا أئمة في الإجرام والظلم؛ وبذلك استحقوا عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة، كما أن فيه تشنيعًا من هذين الوصفين، الإجرام والظلم، وفيه دعوة لهم أن يتركوا ما هم عليه من الإجرام والظلم ويعملوا عقولهم لتهديهم إلى الإيمان بالله تعالى وحده وترك عبادة ما سواه، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) تفسير الطاهر بن عاشور ج١١ صـ ١٩٥.

الخاتمة

بعد أن طُفت في رحاب هذا الموضوع الشيِّق، وقطفت من أزهاره اليانعة، أستطيع أن أخلص إلى **النتائج الآتية**:

الأولى: أن موضوع الإظهار في مقام الإضمار من الأهمية بمكان، ودراسته مما يُظهر مظهرًا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم.

الثانية: أن أئمتنا من العلماء والمفسرين قد عنوا بهذا اللون، لكن لم يتناولوا جميع مواضعه في القرآن الكريم – على حد علمي – بل في الغالب أشاروا إلى بعضها.

الثالثة: أن غالب أسرار الإظهار في مقام الإضمار تتعلق بسياق الآية أو الآيات موضع الإظهار، ومعانيها، وهذا ما حاولت أن أُلقي بعض الضوء عليه من خلال بحثي المتواضع، وتتعلق أيضًا بالاسم المظهر.

الرابعة: أن أغلب المواضع التي تناولتها في الدراسة التطبيقية لجزء من سورة يونس تتعلق بإظهار اسم الله تعالى، والحكمة في ذلك: زيادة تعظيم الله ﷻ وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس السامعين؛ إضافة لما فيه من أسرار تتجلى في مواطنها، بالنظر إلى سياق الآيات ومعانيها.

الخامسة: أن استخراج الأسرار من مواضع الإظهار في مقام الإضمار فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده.

ولذلك **أقترح** أن يُعنى الباحثون بمثل هذه الموضوعات البلاغية التي تبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

١ – أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، لأحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م.

٢ – الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني الشافعي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.

٣ – البرهان في علوم القرآن، للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧م.

٤ – البلاغة العربية، للدكتور/ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، (دار القلم – دمشق)، (الدار الشامية – بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

٥ – تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام أبي الفيض محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية.

٦ – تفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير)، للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٧ – التفسير البسيط، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، تحقيق: مجموعة من الباحثين بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٨ – تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة

ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

٩ – تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٠ – تفسير ابن جُزي الكلبي (التسهيل لعلوم التنزيل)، للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور/ عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١١ – تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير)، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢ – تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

١٣ – تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، للإمام أبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٤ – تفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، للإمام أبي عبد الله محمد ابن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

١٥ – تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)،

للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦ – تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٧ – تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر - بيروت

١٨ – تفسير الشعراوي (الخواطر)، للإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

١٩ – تفسير الشوكاني (فتح القدير)، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

٢٠ – تفسير الطاهر بن عاشور (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، للإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.

٢١ – تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، للإمام أبي جعفر محمد ابن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، تحقيق الشيخ: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.

٢٢ – تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٢٣ – تفسير ابن عجيبة (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي تحقيق: د/ أحمد القرشي

رسلان، د/ حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩هـ.

٢٤ – تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، للإمام محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٥ – تفسير القشيري (لطائف الإشارات) للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

٢٦ – تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٧ – تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، للشيخ محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩٠م.

٢٨ – تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م

٢٩ – تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٠ – التفسير الوجيز، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ.

٣١ – التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث

الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م.

٣٢ – التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٣٣ – خصائص التراكيب (دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، للدكتور/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.

٣٤ – علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي.

٣٥ – القاموس المحيط، للإمام أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

٣٦ – لسان العرب، للإمام أبي الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٣٧ – مختار الصحاح، للإمام أبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت)، (الدار النموذجية – صيدا)، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

٣٨ – معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للإمام أبي الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت.

٣٩ – معجم مقاييس اللغة، للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات


تم بحمد الله